

## الملاحظات

في أوائل مراحل سجنه في الثكنات ويُعيد وفاة ثلاثة من أتباعه، أنزل حضرة بهاء الله "لوح الرئيس"، وهو لوح خطير أنزل بالفارسية موجّه إلى عالي باشا رئيس وزراء تركيا، والذي كان أكبر عدو لحضرتة وكان وراء نفيه إلى عكاء.

وقد سبق أن وجّه حضرة بهاء الله إلى عالي باشا لوحاً بالعربية، يعرف به "سورة الرئيس"، وذلك منذ بضعة أشهر في طريقه صوب كليبولي (إثر مغادرته أدرنة). فيه أدان بشدة أفعال رئيس الوزراء المدبر الرئيس لنفيه إلى مدينة السجن. يصرّح حضرة بهاء الله حول أهمية هذا اللوح:

"منذ نزول سورة الرئيس لم تفز أي أرض بالسكون ولا العباد فازوا بالاطمينان"

والآن، في "لوح الرئيس" اللوح الثاني لعالي باشا، الذي سطر داخل جدران السجن الأعظم، يزيد حضرة بهاء الله في تأنيبه على ما فعل وتصرفه بقسوة ووحشية.

يتسم هذا اللوح بطابع مؤثر ورقيق في الوقت نفسه. أما عالي باشا فيشير إليه حضرة بهاء الله على أنه شخص يرى نفسه أعلى الناس في حين يعتبر حضرة بهاء الله، المظهر الإلهي، أدنى العباد. ثم يمضي ويشبهه بالذين أعرضوا عن رسل الله من قبل ورموهم خطأً بخلق الفساد والاختلاف في سالف الأدوار. ويزجره بعد ذلك لجهله وعدم نضجه، كاشفاً له حقيقة مكانته كشخص تحركه أرذل الدوافع في الوجود، ألا وهي إشارات النفس والهوى.

تستحق عبارة حضرة بهاء الله الأخيرة بعض الشرح، فهي تبث الفكر على التأمل وتحفزه، بشأن النفس والهوى على أنها من أخط الخصال البشرية. نجد عبارات مماثلة لها ترد في ألواح أخرى أيضاً.

هناك قوتان متضادتان تعملان في باطن الإنسان، هما طبيعته الحيوانية من جهة والروحية من جهة أخرى. ويمكن شرح "النفس والهوى" بأنهما تعبير عن الطبيعة الحيوانية في حياة الإنسان، الطبيعة التي تميل لجذبه إلى أسفل مراتب الوجود المادي. من الجهة الأخرى هناك الروح، التي تنبعث من عوالم الله الروحانية، وهي، إن استنارت بنور الإيمان، تصبح القوة الدافعة لسمو الإنسان في عوالم الروح. الأولى تنتهي بالإنسان إلى الهلاك في هذا العالم، والثانية تهبه حياة خالدة في العوالم الإلهية.

يمكن تشبيه هاتين القوتين المتعاكستين داخل الإنسان بقوة الجاذبية التي تشد الطائر إلى الأسفل بينما قوة جناحيه ترفعه للأعلى . هكذا حال روح الإنسان فما دام معرضاً عن المظهر الإلهي -في هذا العصر حضرة بهاء الله- ستظل روحه في ظلام وضلال تفتقر للقوة الضرورية الكفيلة برفعها فوق قيود هذا العالم الفاني . كذلك ستبقى طبيعته الحيوانية هي المنتصرة المتسلطة، وروحه أسيرة النفس والهوى .

يصرّح حضرة عبد البهاء في أحد ألواحه بأن كلمة "شجاع" تنطبق على من يتغلب على نفسه وهواه . ذلك لأن من الأسهل التغلب على دول عدة على أن يتغلب المرء على نفسه ومشتبهاتها . إن الغاية من مجيء المظاهر الإلهية هي تزويد الروح الإنساني بالصفات الروحانية التي تمكّنه من الانتصار على أكبر عدو - ألا وهو نفسه . هناك عدو بمثل خطورة النفس والهوى، وهو معاشر الأشرار إذ بذلك يضعف إيمان المرء ثم ينطفئ . فيما يلي تحذير حضرة بهاء الله الصريح في هذا الشأن :

"حذار يا ابن التراب لا تألف الأشرار ولا تأنس إليهم فإن مجالسة الأشرار تبدل نور الروح بنار الحسبان ."

لكن ينبغي ألا يساء فهم كلمة "الأشرار". فهناك من الأشرار من يدعي الإيمان بالله، في حين هناك الكثيرون ممن يعتقدون بأنهم غنوصيون أو ملحدون، إلا أنهم ليسوا بأشرار في الحقيقة. والمقصود بالأشرار هنا هم الذين يحولون، من خلال معاشرتهم وصدقاتهم سواء عن وعي منهم أو دون وعي، بين المؤمن وبين أتباعه فرائض دينه ومبادئه ويصبحون عائقاً بينه وبين ربه.

نعود إلى "لوح الرئيس" حيث يؤتّب فيه حضرة بهاء الله عالي باشا على ما اقترفه من قسوة في معاملته لفئة من العباد الأبرياء من ضمنهم نساء وأطفال وتعريضهم لحياة قاسية بوضعهم في سجن كئيب، ويسهب في وصف ما لقيه شخصياً وأصحابه من عناء في تلك القلعة، مشيراً إلى المعاملة الوحشية التي استقبل بها كل واحد منهم ليلة ورودهم الثكنات حينما منع الحراس عنهم الماء والطعام مما سبب عناء لا يحتمل، خاصة للأمهات المرضعات وأطفالهن، ويروي أيضاً قصة الأخوين من أصحابه اللذين وجدا، نتيجة ظروف السجن القذرة الموبوءة، ميتين على أرض حجرتهما وقد احتضن كل منهما الآخر بذراعيه، ويشني على روح المحبة والإخلاص التي أظهرها اثنان من أتباعه عندما منعتهم السلطات من مرافقة حضرة بهاء الله (إلى منفاه الأخير)، ويصف أعمال قسوة أخرى وحرمان تعرض له السجناء - من أصحابه - دون أي مبرر، مؤكداً بأن ليس هناك قدر من الاضطهاد يمكنه أن يؤثر على المؤمنين إذ هم يشتاقون لفداء أنفسهم في سبيل مولا هم.

يخبر حضرة بهاء الله عالي باشا بأنه لو فاز بنفحة من النفحات المتضوعة من شطر القدم، فسينقلب بحيث ينقطع عن الدنيا ويشتاق للسكنى في غرفة خربة من هذا السجن الأعظم. ويروي له قصة من طفولته تصوّر بنحو درامي تفاهة هذه الحياة الدنيا وعدم استقرارها، ناصحاً إياه بالألّا يتكل على عزه وجاهه إذ سرعان ما سيزولان، ثم يكشف له عن عظمة ظهوره، ويشير إلى عجز الباشا عن إطفاء نور الله في بلاده، مستنكراً ما "ارتكبته في الحياة الباطلة"، ويصرح بأن من ظلمه "ناح الروح واضطربت أركان العرش وتزلزلت أفئدة المقربين". ويحذره تحذيراً قاطعاً من أن الله "سوف يأخذكم بقهر من عنده ويظهر الفساد بينكم ويختلف ممالككم إذاً تنوحون وتتضرعون ولن تجدوا لأنفسكم من معين ولا نصير"، وأما بخصوص توبته ليكفر الله عنه سيئاته، فيؤكد له "بأنك لن توفق بذلك أبداً."

بشأن النقطة الأخيرة سأل ميرزا آقا جان، كاتب الوحي، حضرة بهاء الله، ما كان سيحدث لو أن عالي باشا، بعد كل ذلك، كان قد بدل موقفه وتاب توبة صادقة. فكان الجواب القاطع من حضرة بهاء الله هو أن كل ما قد ورد في "لوح الرئيس" سوف يتحقق حتماً، ولو اجتمع كل أهل العالم لما استطاعوا تغيير كلمة واحدة من اللوح.

## في باب المعجزات

يصرّح حضرة بهاءالله في "لوح الرئيس" بأنه كان قد بعث من كليبولي رسالة شفوية إلى سلطان تركيا بواسطة الضابط التركي المسؤول والذي وعد بأنه سيبلغها. طلب من السلطان "أن يقابله لمدة عشر دقائق وذلك كي يطلب السلطان ما يعتبره حجة ودليلاً لصدق قول الحق. فإن أوتي ذلك من عند الله يطلق سراح هؤلاء المظلومين ويتركهم وشأنهم."

ويوضّح حضرة بهاءالله بأن السبب الوحيد وراء هذا الاقتراح كان وجود عدد من النساء والأطفال مع المسجونين وقد راحوا ضحية للظلم وتعرضوا لعذاب وشدة عظيمين. لكنه يكرر المبدأ الأساسي بأن ليس "من شأن الحق أن يحضر لدى أحد حيث أن الجميع خلقوا لطاعته ولكننا قبلنا ذلك رحمة بهؤلاء الأطفال الصغار وجمع من النساء الذين ظلوا بعيداً عن أحبابهم وديارهم." ولكن لم يرد من السلطان جواب على ذلك التحدي، كما لم يرسل الضابط المذكور تقريراً لحضرة بهاءالله.

لم تكن هذه أول مرة يعرض فيها حضرة بهاءالله استعدادة لإثبات أحقية أمره لمن أمسكوا بمقاليد الحكم في قبضتهم. فقد بعث بطلب متحدّ مماثل قبل ذلك في

"لوح السلطان" إلى ناصر الدين شاه، وقد اختار الأخير وعلماء الدين إهمال الطلب وتجاهله.

كما أن في مناسبة أخرى طلب علماء الشيعة في بغداد من حضرة بهاء الله إتيانهم بمعجزة. فوافق على التماسهم بشرط تعهدهم بالولاء لأمره لو حقق المعجزة التي طلبوها. إلا أن العلماء اضطربوا وخافوا ولم يتابعوا القضية بعدئذ. هذا وقد وصفنا من قبل ظروف هذا الحدث في مجلد سابق.

في مناسبات كهذه كان حضرة بهاء الله يصرح دائماً بأن الله أن يمتحن عباده وليس للعبد أن يمتحن ربه. وحقاً سيجد الإنسان نفسه في محنة عسيرة لو راودته نفسه بامتحان المظهر الإلهي.

أما مسألة المعجزات فهي من أكثر الموضوعات التي أسيء فهمها بشأن أنبياء الله ورسله. فأهل معظم الأديان ينسبون المعجزات إلى أنبيائهم. وقد جاء الاعتقاد بالمعجزات عن طريق دراسة الكتب المقدسة للأديان القديمة ومن خلال التقاليد التي تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل. كما أن رؤساء الأديان بدورهم دأبوا على تأكيد المعجزات كواحدة من أهم البراهين على صحة عقائدهم. بناء على ذلك يتصور

أتباع أي دين بأن نبيهم شخص تحيط رأسه هالة من النور وقام بأعمال خارقة لإقناع الناس بمقامه .

لكن يتبين من دراسة حياة الأنبياء وتعاليمهم وكتبهم المقدسة بأن عكس ذلك هو الصحيح . فمظاهر الله لم يبرهنوا أحقيتهم بإتيان المعجزات . فما هم إلا حملة رسالة الله، وما مهمتهم إلا تربية أرواح الخلق . إن كلمتهم خلاقية وقد تعتبر أعظم وسيلة لإحياء النفوس وبعثها .

أما النظرة البهائية بخصوص المعجزات فهي أن المظاهر الإلهية يستمدون قوتهم وسلطانهم من الله القدير . وهم مشارق صفاته ومظاهر جلاله في هذا العالم . لذا فإنهم قادرون على أن يفعلوا ما يشاءون، وإن استلزم ذلك خرق قوانين الطبيعة، وعمل المعجزات . ذلك لأن من البديهي أن الله الذي أسس قوانين الطبيعة وأوجدها هو نفسه قادر على تبديلها أو إبطالها إن شاء ذلك . والشك في قدرته على ذلك بمثابة نسبة العجز لله . لذا فإن أتباع حضرة بهاء الله لا ينكرون إمكانية قيام أنبياء الله ورسوله بالمعجزات . لكن أمثال هذه المعجزات حتى عندما تحققت، تكون برهاناً مشروعاً وفعالاً فقط بالنسبة لعدد قليل ممن شهدوها بأنفسهم . وعليه لا يمكن اعتبارها شهادة قاطعة على أحقية رسالة النبي . ذلك لأنه ما من أحد يستطيع إثبات وقوع معجزة ما منسوبة لنبي . من جهة أخرى فإن بعض المعجزات المذكورة في الكتب المقدسة مثل



إحياء الموتى ، وإشفاء البرص ، أو العروج للسماء لها مدلول روحي . وقد شرح حضرة بهاء الله هذه المعاني في العديد من كتاباته وخصوصاً في "كتاب الإيقان" .

هناك فرق كبير بين الحقيقة والاعتقاد . فهناك أشياء في هذه الحياة قد ثبت برهان وجودها ولم ينكرها أحد . مثلاً إن وجود البحر فوق كوكبنا هذا حقيقة ثابتة وليس من شخص ، بمن فيهم الذين لم يروا البحر، قد أنكر هذا . إلا أن الاعتقاد بشيء يخالفه أناس آخرون هو أمر مغاير لذلك . فلا يمكن لمثل هذا الاعتقاد أن يستعمل كدليل حقيقي وذلك لسبب بسيط هو إمكانية الطعن في أحقيته ، وإن كان الاعتقاد بحد ذاته صادق وحقيقي . المعجزات أمثلة على هذا ، مثلاً أتباع حضرة المسيح يعتقدون بأنه قام بعدة معجزات . لكن بما أن كثيراً من الناس قد أنكروا هذا الادعاء ، فلا يسع المرء أن يعتبر هذه المعجزات حقيقة واقعة ، وإن تكن قد وقعت فعلاً .

في أوائل أيام نشوء الدين البهائي عندما كان الدين قوة حيوية في المجتمع وله نفوذ أعمق في قلوب الناس وأفكارهم مما هو عليه اليوم ، تسائل الناس وطالبوا يومها ببراهين دينية عندما تناقشوا مع البهائيين . كانت المعجزات أحد أهم تلك المسائل . وكثير من الناس كانوا يؤمنون إيماناً أعمى بها ولذلك كانت مهمة المبلِّغ البهائي تفسير حقيقة المعجزات ومغزاها في إطار الدين . لكن عندما يتمسك الشخص بالمعتقدات

تمسكاً متعصباً فإن مجرد الشرح والتفسير لا يفلح دائماً. لهذا السبب فإن بعض المبلّغين القدماء في أمر الله قد اضطروا، حين الخوض في حوار أو نقاش مع شخص متعصب ذي معتقدات دينية هي أقرب إلى الأوهام منها إلى أي شيء آخر، اضطروا إلى توجيه نقاشهم بحيث يبدأون أولاً بكشف ضحالة أفكاره، ثم تقديم رسالة حضرة بهاء الله له. وغالباً ما استفاد من تلك الطريقة أولئك الذين وهبوا فطرة طيبة وأفئدة سليمة نقية، وساعدتهم على رؤية نور الحقيقة ....

... إن أعظم معجزة للمظهر الإلهي هي أنه يحوّل قلوب الناس ويخلق حضارة جديدة بتأثير كلمته فقط. فكل كلمة ينطق بها مفعمة بخلاقية وقدرة بحيث لا تستطيع كل قوات العالم منع أو مقاومة القوى المنبعثة عنها والكفيلة بإحياء العالم من جديد. مثل موسم الربيع وما يبعث في كل الكائنات الحية من طاقات غزيرة تنفذ إلى أعماق كيانها، فإن كلمة المظهر الإلهي الخلاقة تحرك المجتمع الإنساني وتعمل، بواسطة ما لديها من قدرة لا تقاوم، على هدم وإزاحة كل العوائق والعقبات التي يصطنعها الإنسان لمقاومتها، خالقة في ذات الوقت خلقاً جديداً من البشر وحضارة جديدة.

ليست هناك معجزة أعظم من هذا، معجزة بإمكان كل مراقب محايد أن يشهدها، ولن يأتي الزمان على لمعان عظمتها. لكن الذين حُرّموا البصيرة الروحانية

وَاتَّبَعُوا ظَنُونَهُمْ وَأَوْهَمَهُمْ قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ مَظَاهِرِ اللَّهِ وَقَاوَمُوهُمْ، وَأَحَدُ أَشْكَالِ هَذَا  
الإِعْرَاضِ وَالْمَقَاوِمَةِ يَتِمُّثَلُ فِي طَلْبِ الْمَعْجَزَاتِ.

عندما كان حضرة بهاء الله في عكاء بعث أربعة رجال دين مسلمون من قرية  
منشاد بمقاطعة يزد رسالة إلى حضرة بهاء الله وعرفوا أنفسهم بأنهم من أتباع أزل وذلك  
بهدف اختبار حضرته. وعرضوا في رسالتهم لُغزِين ووعدوا بأنهم سيؤمنون بدعوته لو  
كشفت لهم الجواب الصحيح. فيما يلي ترجمة لجزء من رسالتهم:

السؤال الأول: هو أن تعلمنا نبأ وفاة أحد رجال أو نساء منشاد وذلك بتحديد تاريخ  
يوم الوفاة التي ستقع وساعة وقوعها وسبب الوفاة مع اسم المتوفى واسم الأم  
والعنوان وذكر معلومات عن الأقرباء والأسرة وكل التفاصيل الشخصية.

أما السؤال الثاني: فهو أن نخبرنا عن مولد طفل، وذلك بتنبؤ جنس الطفل  
الوليد، واسم الأم والأب وتاريخ الولادة وموعدها بالضبط في هذه السنة...

يقف الإنسان مع تفاهة عقله وضيق نظرتِه أمام ربه بخيلاء وأنانية ويتحداه من  
أجل الاستجابة لمطالب خيالاته السخيفة محذراً المظهر الإلهي إذا لم يُلبَّ ما طلبه  
منه فسيعرض عنه. كم يبدو شنيعاً هذا في نظر من وهب قادراً من بصائر الروح! إن

الأسئلة التي عُرضت لحضرة بهاء الله في تلك المناسبة تبعث على السخرية والرثاء معاً. مع ذلك، ورداً عليها أنزل حضرة بهاء الله لوحاً مطولاً، جزء منه بكلمات كاتب وحيه، وآخر من كلماته نفسه، ويوبخ كاتب الرسالة على ضلالهم وعميهم في امتحان الله. ويعلن فيه عن مجيء يوم الله ويصرح بأن نزول وحيه قد أحاط العالم فأى مآل نُكر ينتظر أولئك الذين يبتغون الامتحان والبرهان في حين مُلئت الآفاق من آيات عظمتها واقتداره. "ليس اليوم يوم السؤال" بل الاستماع إلى نداء الله والإقبال إلى أمره. ثم يذكرهم، مستشهداً بآيات وفقرات متعددة من القرآن الكريم، بأن المشركين في دورة سابقة كانوا قد سألوا نبي الإسلام عن إتيان المعجزات. فقد سألوه أن يؤتيهم بملائكة من السماء أو يفجر من الأرض ماء، أو يسقط السماء قطعاً على الأرض، أو يؤتيهم بيت من ذهب، أو يصعد إلى السماء وينزل لهم منها كتاباً وغير ذلك من الطلبات المماثلة. لكن يتضح من دراسة القرآن الكريم بأن جواب محمد (ص) على هذه الطلبات السخيفة هو أن حسب آيات الله وكلمته حجة على صحة دعوته.

يحذر حضرة بهاء الله رجال الدين الأربعة هؤلاء من أن عاقبتهم، بما امتحنوا الله، هي نفس عاقبة من أنكره في سابق ظهوراته. ومن النواحي الطريفة لهذه الحادثة هو أن حضرة بهاء الله، نظراً لما صرح به هؤلاء الأربعة من أنهم أتباع أزل قد خاطبهم وفق ذلك على أنهم من الأزليين. وعليه استشهد بالعديد من كتابات حضرة الباب إثباتاً لدعوته وحجته. فعل ذلك رغم علمه بمن كان أولئك الأربعة. إضافة لعلمه

الغيبى الذي وسع كل الكائنات، كان معلوماً لديه ولدى أصحابه بأن لم يكن في منشاد أتباع لأزل. علاوة على ذلك فإن بعض المؤمنين ممن كانوا مقيمين آنذاك في عكاء كانوا أنفسهم من منشاد ويعرفون هؤلاء الرجال معرفة جيدة.

هذه هي الحالات التي يمتحن فيها المظهر الإلهي البشر بإظهار نفسه وكأنه يجهل الحقيقة. وهي الحالة التي يستر فيها عظمته وعلمه عن أعين الناس لئلا يجد الخبيث سبيلاً إلى ساحة قدسه ويستوي مع الطيب. وهي الحالة التي يُترك فيها الإنسان وإرادته الحرة لإتباع السبيل الذي يختاره دون تدخل خالقه، وجعله دمية تتحرك بإرادة غيب عليا. وبخطابه إياهم كأنهم أتباع أزل، وضع حضرة بهاء الله هؤلاء الأربعة في موضع الامتحان. هذا وكان أحدهم قد أسرّ لنفر قليل من البهائيين بصفة شخصية بأنه كان ميالاً في سره لأمر الله. لكن هذا اللوح جاء امتحاناً له وسقط فيه خاسراً إيمانه بالكلية.

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٣"